العلاقـــات الاسرائيليـــة السوريـــة:

حـرب ام سـلام فـــي الافـــق؟

بقلم: د. هشام فرارجة
جامعة بيرزيت

من الصعوبة بمكان التحدث عن ديناميكية العلاقات الاسرائيلية السورية، عبر سنين الصراع الطويل، وبالتحديد عبر السنين القليلة الاخيرة التي تمحورت حول الحديث عن التفاوض غير المباشر بشأن تسوية الصراع الاسرائيلي - السوري.

لكن المتتبع للاحداث في مجمل العلاقات الاسرائيلية السورية في الاسابيع الاخيرة القليلة فقط، لا يسعه الا ان يخرج باستنتاج، بان هذه العلاقات تشوبها حالة من عدم الاستقرار والوضوح، فتارة تبدو الاجواء العامة المحيطة بالعلاقات الاسرائيلية - السورية دافئة او شبه دافئة، وتارة اخرى يشعر بان كل ما احاط بها من تفاوض واحاديث عن ترتيبات لتسوية الصراع لم تكن كافية لكسر الجمود الذي يصبغ مسار هذه العلاقات.

في حقيقة الامر فان الحديث عن العلاقات الاسرائيلية السورية قد يقود المتتبع لتحليل معاملات متعددة قد تفوق في ابعادها اكثر من مجمل العلاقات الاسرائيلية السورية نفسها لكن، ومن اجل حصر الحديث بمجريات الامور في الاسابيع الاخيرة فقط، يمكن النظر الى بعض المعاملات المتعلقة بهذه العلاقات ولو بشكل مختصر.

الموقف الاسرائيلي تجاه تسوية الصراع مع سوريا يمكن تلخيصه بالرغبة في المحافظة على الامن الاسرائيلي، بغض النظر عن كل ما عداه بالنسبة لاسرائيل، فالارض «اي هضبة الجولان» وكل ما يتم احداثه من اجراءات سواء تعلق ذلك بوضع محطات ارضية للانذار المبكر او غير ذلك، يجب بالضرورة ان تنطلق من المفهوم الرئيسي للامن الاسرائيلي.

اما بالنسبة لسوريا - فان الموقف يمكن تلخيصه بالرغبة السورية في استعادة كل ما فقدته من ارض احتلت عام ١٩٦٧ مقابل «السلام الكامل».

الموقف السوري يتمحور حول ضرورة الانسحاب الكامل من الاراضي السورية المحتلة مقابل السلام الكامل، الاهم من هذا و ذاك، انه قبل شهور عديدة، وعلى لسان الرئيس السوري «حافظ الاسد» نفسه، وايضا بتعبيرات وتصريحات متعددة من وزير الخارجية، تم توضيح الموقف السوري تجاه عملية السلام بشكل لا يقبل اللبس،.

فسوريا تعتبر خطواتها ومواقفها تجاه عملية السلام خيارا استراتيجيا، اعتمدت عليه القيادة السورية وحددت مساره من وجهة نظرها وفي ذات الوقت اعتمدت الادوات التي ارتاتها مناسبة وضرورية للوصول الى هذا الخيار الاستراتيجي من ضمن هذه الادوات الاعتماد من وقت الى آخر على بعض عناصرها العسكرية المدعومة من قبلها، خاصة في جنوب لبنان وبالتحديد «حزب الله» في ذات الوقت.

واضح انه رغم كل ما يحيط بسوريا من ازمات داخلية اقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية، وخارجية عسكرية وسياسية فيما يتعلق بموقع سوريا من الدائرة العربية المحيطة، الا انه تتوفر لدى سوريا قدرات يجب اخذها بالاعتبار عند الحديث عن امكانية حدوث تسوية في الصراع الاسرائيلي - السوري.

القدرات العسكرية السورية

القدرات العسكرية السورية هي امر في غاية الاهمية بالنسبة لصانعي القرار السياسي الاسرائيلي، خاصة وان نقطة انطلاقهم في رسم سياستهم هي المحافظة على الامن الاسرائيلي القومي داخليا وخارجيا، اذا، كيف لا يمكن لصانع القرار السياسي الاسرائيلي ان يقتنع وبشكل راسخ بان خيار سوريا تجاه عملية السلام هو خيار استراتيجي ما دامت تتوافر لدى سوريا قدرات وامكانات يمكن ان يحسب لها نفس الحساب من الزاوية الاسرائيلية.

واضح بان القدرات والامكانات العسكرية الاسرائيلية تفوق بحجمها وبفاعليتها كل ما يمكن ان تمتلكه سوريا من قدرات وامكانيات وكل ما يمكن ان تمتلكه دول عربية اخرى مجتمعه، لكن الامر الضروري ابقاءه في الذهن عند الحديث عن هذا الموضوع هو بان استمرار توافر امكانات وقدرات عسكرية معينة لدى سوريا مقلق جدا لصانع القرار السياسي الاسرائيلي.

في الفترة الاخيرة تبلور حدث في غاية الاهمية ايضا على المستوى السياسي الاسرائيلي، فرئيس الوزراء الاسرائيلي «رابين» تم اغتياله من قبل اسرائيل، رابين بشكل رئيسي كان يمثل تلك المدرسة العسكرية الصارمة داخل المعسكر الاسرائيلي عند صناعة القرار السياسي، رابين كان رئيسا للوزراء، ولكنه قرر ان يتولى مهام وزارة الدفاع رغبة منه في ان يبقى وزارة الدفاع والادوات والقدرات والامكانات العسكرية بيده هو وليس بيد اي قائد آخر.

عندما تم اغتيال رابين شكلت حكومة اسرائيلية جديدة بزعامة «شمعون بيريس» الذي اثبت جدارته في ادارته لوزارة الخارجية الاسرائيلية وفي تعامله مع كل ما يحيط باسرائيل من شؤون وعلاقات دولية، وتمكن من الارتقاء الى مستوى مرموق على الصعيد العالمي فيما احرزه من انجازات متعلقة بادارته لعلاقات اسرائيل الخارجية مع العالم كان من اهم قدراته على المساهمة في افراز اتفاقات متعددة بين اسرائيل وبعض الدول العربية ومن بينها فلسطين.

بيريس كان يمثل تلك المدرسة في المعسكر الاسرائيلي التي ركزت جل اهتمامها على فعالية الادارة السياسية والاقتصادية لتدعيم قوة الدولة وامنها.

بيريس قرر هو الآخر ان لا يترك حقيبة وزارة الدفاع تضيع من يديه فقد قرر ان يبقى حقيبة وزارة الدفاع له، وليس على سبيل المثال، لمن قد يكون اكثر منه قدرة على ادارة الشؤون العسكرية، بالتحديد «ايهود براك» الذي يتمتع بتاريخ عسكري مرموق وعلاقاته بادارة الشؤون السياسية رغم نجاحاتها المتعددة لا تساوي باي شكل من الاشكال ما يتمتع به من قدرات عسكرية متميزة، رغم ذلك، وبشكل مغاير لمعظم التوقعات، فقد قرر بيريس ان يحتفظ بوزارة الدفاع وان يسند الى براك وزارة الخارجية.

> * بيريس قرر هو الآخر ان لا يترك حقيبة وزارة الدفاع تضيع من يديه فقد قرر ان يبقي حقيبة وزارة الدفاع له، وليس على سبيل المثال، لمن قد يكون اكثر منه قدرة على ادارة الشؤون العسكرية..

الخارطة الجديدة

اذا، تشكلت خارطة اسرائيلية جديدة،، توامة من نوع جديد، بين خبراء الشؤون العسكرية وخبراء الشؤون السياسية من تتوفر لديهم القدرات الفذة في شؤون الدفاع اسندت اليهم مهام سياسية،، بالدرجة الاولى، ومن تتوفر لديهم قدرات سياسية فذه تركت لهم مهام دفاعية وعسكرية بشكل رئيسي.

هذه الخارطة الجديدة في الحكم الاسرائيلي لا يمكن القفز عنها لدى النظر الى مجمل العلاقات الاسرائيلية - السورية اليوم فمنذ البداية وعندما تسلم «ايهود براك» وزارة الخارجية اعتبر ان الانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي السورية من هضبة الجولان قد يتعارض مع مصالح اسرائيل الامنية، لكنه ترك الباب مفتوحا عندما قال بان ذلك في النهاية سيكون قرارا سياسيا، عبارته تلك يجب ان لا يتم القفز عنها كعبارة غير مدروسة على الاطلاق.

اثناء تواجد وزيري الخارجية السوري «فاروق الشرع» و «ايهود براك» مؤخرا في برشلونه، اسبانيا، اطلقت هناك تصريحات واضحة من قبل الطرفين تعبر عن رغبة علنية في الاستمرار في تسوية الصراع السوري - الاسرائيلي ولكن في نفس الوقت، حدث نوع من الانفجار على الجبهة اللبنانية، التوتر التي ساد الحدود اللبنانية كان مرتبطا بالحقيقة بتلك التصريحات التي تم اطلاقها من قبل الطرفين في برشلونه، كما يبدو، فان الطائرات الاسرائيلية صباح ذلك اليوم اغارت على بعض القرى في الجنوب اللبناني، كانت حصيلة تلك الغارات، ضمن ما كانت، قتل احد قادة حزب الله، التوتر الذي نتج عن ذلك، ادى الى اطلاق العديد من صواريخ الكاتيوشا من قبل حزب الله على الجليل الاعلى والخسائر المادية اسرائيليا يبدو، انها كانت جسيمة.

المهم انه من مجمل التعبيرات والتصريحات التي اطلقت، خاصة من قبل الطرف الاسرائيلي بانه في ذات الوقت انطلاقا من الخارطة السياسية الجديدة بعد اغتيال اسحق رابين، المتمثلة بتشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة، ان هناك قناعة راسخة لدى الطرف الاسرائيلي بان سوريا تحتاج الى حافز او دافع اقوى مما كان موجودا حتى الان، من اجل الاقدام على تسوية الصراع مع اسرائيل، هذا الدافع او الحافز قد يكمن في ضربة عسكرية مباشرة في المستقبل القريب، او غير مباشرة لبعض العناصر والمجموعات التي تدعمها سوريا.

الارجح ان القناعة الاسرائيلية الراسخة والمتمخضة عن التوأمه بين المدرستين العسكرية والسياسية في الحكومة الاسرائيلية قد تدفع بهذه الحكومة الى القيام بحرب محدودة الاهداف، من اجل التسريع في عملية السلام.

صحيح ان الرئيس السوري قد صرح قبل فترة بان حربا سورية - اسرائيلية ستكون لها نتائج مؤلمة على سوريا، لكنه اوضح بان نتائجها الوخيمة سوف لا تنحصر بسوريا فحسب وانما ستكون اوسع من ذلك.

الاسرائيليون يدركون حقيقة وجود قدرات عسكرية معينة في سوريا لكنهم في ذات الوقت يبدو انهم مقتنعون بان تسوية حقيقية شاملة مع سوريا يجب ان يسبقها حافز قوي يدفع بالطرف السوري، الى الشعور بانه لا بد من الدخول في التسوية بكل جوانبها، بتعبير ادق، يبدو ان الطرف الاسرائيلي راغب في احداث تسوية شاملة مع سورية ولكن بمقاييس هو يحددها، وايضا واضح بان تعبير سوريا عن خيارها لعملية السلام كخيار استراتيجي قد اعطى الطرف الاسرائيلي حافزا اقوى لترجمة التفاعل السوري - الاسرائيلي بمفاهيم ليست سياسية فحسب، وانما بعضها عسكري في طبيعته.

يلوح في الافق شبح تصعيد عسكري لا يمكن معرفة او استنتاج نتائجه كاملة بشكل مسبق، لكن الواضح ان هذا التصعيد هدفه التسريع في عملية السلام بين اسرائيل وسوريا واحداث تسوية اسرائيلية - سورية شاملة بمقاييس اسرائيلية في الدرجة الاولى والاخيرة.

حرب محدودة الاهداف مباشرة او غير مباشرة هي في مجمل الامور من اكثر الادوات فعالية للخروج من الازمات السياسية والشعبية التي بدات تخيم على المجتمع الاسرائيلي حديثا، ليس هناك اكثر من سوريا مرشحا مناسبا من اجل تجميع الصف الاسرائيلي ومن اجل التسريع في احداث تسوية شاملة بقيادة شمعون بيريس فمكانته تعتمد على قدرته على اثبات جدارته عسكريا كما اثبتها سياسيا.